الخوف من الله

وأحوال أهله

أبو مريم

مجدي بن فتحي السيد

تقديم

دكتور نبيل غنايم



الخوف من الله
وأحوال أهله

دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة : ١٤٥ طريق المعادي الزراعي
ص.ب : ١٦٩ المعادى . ت : ٩٨٧٣٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين .

والعاقبة للمتقين وصلى الله وسلم وبارك على إمام الهدى ، وخير المتقين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وأعلام التقى .

وبعـــــد ...

فإن تقوى الله عز وجل هى خير ما يتزود به العباد من هذه الدنيا الفانية إلى تلك الدار الباقية .

قال تعالى : « **وَتزوَّدوا فإنّ خيرَ الزادِ التقوى واتقُونِ يا أُولى الألباب** » .

والعاقل من وعى ذلك وقام به ، لأنه مقبل على يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

ومهما نعم الإنسان فى هذه الدنيا بالصحة والمال والجاه والسلطان ؛ فإن ذلك كله إلى فناء وزوال ، ويقبل الإنسان على الله تعالى بما عمل من خير أو شر فإما إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، فيجد بذلك خيرا مما كان فيه فى الدنيا مئات المرات ،

وإما إلى نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين فيجد بذلك أسوأ وأشد مما كان فى الدنيا من آلام ومتاعب .

والتقوى كما بينها سيدنا علي كرم الله وجهه تقوم على الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل .. وبهذه الكلمات الموجزة وضح الإمام على أصول التقوى وأركانها .

فالخوف من الله عز وجل هو رأس الحكمة وجوهر الإيمان ، وإنما يخشى الله عز وجل ويخافه من علم به وقام بحقوقه (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) ، ولهذا لا يكفى الخوف بلا عمل لأن حقيقة الخوف تبعث على العمل ؛ فمن خاف الله تعالى قام بفروضه ، واجتنب محارمه ، وكان دائماً وأبداً مراقباً له مستشعرا حضوره (**وهو معكم أينما كنتم**) .

وخير العمل ما قام على تنزيل الله تعالى ، واستمد معالمه وحدوده ومواصفاته من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ، وهذا هو حقيقة الاستعداد ليوم الرحيل ، يوم الموت وفراق الدنيا ، يوم القيامة ولقاء الله ، يوم الحساب والعرض على الله ، يوم الجزاء والثواب ، يوم الجنة أو النار (**وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون**) .

(**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار**) .

وفى الكتاب الذى بين أيدينا فصول رقيقة من أعمال السلف الصالح رضوان الله عليهم واجتهادهم فى التقرب إلى الله عز وجل ،

وتقواه وتنافسهم فى محبته ، والخوف منه وإخلاصهم فى عبادة الله ، ونفورهم من الدنيا وزينتها ، وقد اعتمدوا فى ذلك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد قام الأخ الكريم مجدى بتجميعها وتصنيفها وتقديمها إلينا راغباً فى الدعوة إلى الله عاملاً بأسلوب رسول الله ﷺ مقتدياً بصحابته رضوان الله عليهم ، لعلنا نعمل بذلك ونستعين به ونمضي مجتهدين فى الطريق إلى الله طمعاً فى رضوانه ومثوبته ، فجزاه الله عما قدم لنا خيرا .

فلنعلم كيف نتقى الله ونخشاه ولنعلم كيف نعبده ونسعى إليه ولنعمل ليوم الرحيل والله الهادى إلى سواء السبيل .

د / محمد نبيل غنايم
كلية دار العلوم ــ قسم الشريعة
فى ١٤ رجب ١٤٠٦ هجرية

مُقدِّمَـةُ المؤلفِ

إن الحمد لله : نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

(يا أيُّها الذين آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلا وَأنْتُم مُسْلِمُون) (يا أيها الناسُ اتقوا ربَّكُم الذى خلقَكُم مِنْ نفسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْراً وَنِسَاءً واتقوا الله الذى تَسَاءَلُونَ بِهِ والأرْحَامَ . إنّ الله كانَ عليكُمْ رَقِيْباً) .

(يا أيُّها الذينَ آمَنُوا اتقوا الله وقولوا قولًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالَكُم ويَغفرْ لكم ذُنُوبَكُم ، ومَنْ يُطِعِ الله ورسولَهُ فقد فازَ فوزاً عَظِيماً) .

وبعـــــد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

لقد أصبح الناس اليوم ــ عندما يستمعون إلى ذكر الموت والقبر والآخرة لا يتفكرون ، ولا ينزعجون ، ولا يتعظون ، بل لقد أصبحت كلمتا « الجنة والنار » لا تسترعيان منهم الانتباه ، وما ذلك إلا لذهاب الخوف من قلوبهم .

فصارت الدنيا أكبر هم الناس اليوم ، وهى كذلك مبلغ علمهم ، فاغتروا بها وساروا خلفها فهلكوا ، فخسروا الدنيا والآخرة ، لأن قلوبهم قد ماتت قبل أن تموت أبدانهم .

لقد كان السلف الصالح ــ رضي الله عنهم ــ على ما كانوا عليه من تقوى وزهد ، وعمل وعلم يخافون من الله خوفا شديدا ، حتى تساقطت منهم الدموع ، وتشققت منهم الأقدام ، من طول القيام .

لقد كانوا ــ والله ــ أهل خشية لله ،ومراقبة له فى كل حالهم . فى السر والعلانية ، والليل والنهار ، والفرح والأحزان .

نعم يا عبد الله :

لقد أتاحوا لأنفسهم الفرصة حتى يفوزوا فوزا عظيما ، فلم تلههم الدنيا وأنى لدنيا حقيرة ، وساعات قليلة أن تلهيهم عن أزمان طويلة فى القبر بما فيه .

نعم يا عبد الله :

لقد علموا أن كل ما هو آت آت ، وأن البعيد ما ليس بآت .

آت الموت بسكراته .

آت القبر بأهواله .

آت البعث بصوره .

آت يوم القيامة بأحواله .

وعندئذ فقط تتذكر يا عبد الله كيف أن الناجين نجوا بالخوف من الله ، وأن الخاسرين خسروا بغفلة عن هذا ، لقد كشف الحجاب عن بصرك فرأيت سوء عملك ، وناداك ربك : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[1] .

كان يزيد الرقاشي يقول لنفسه :

ويحك يا يزيد ، من ذا يصلى عنك بعد الموت ؟

من ذا يصوم عنك بعد الموت ؟

من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ؟

أيها الناس ألا تبكون على أنفسكم باقى حياتكم ؟

من الموت طالبه ، والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه .

وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله ؟ ثم يبكى .

وبعد ..

فهذا كتاب قد حوى من أخلاق السلف الكثير عن الخوف من الجليل فانظر فيه عبد الله .. وتدبر وتفكر فى حالك ، وأحسن من شأنك ، عساه أن يرحمك .

والله أسأل أن يتقبل عملى هذا بقبول حسن ابتغاء لوجهه الكريم ، إنه سميع الدعاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أبو مريم / مجدى بن فتحى السيد

(١) سورة ق : ٢٢

بين يدي الكتاب

الخوف

بين التعريف اللغوى والمدلول الشرعى

أولا : التعريف اللغوى :

قال ابن منظور : الخوف : الفزع ، خافه يخافه وخيفة ومخافة . وخوَّف الرجل إذا جعل فيه الخوف[1] . انتهى

وقال القرطبى : الخوف هو الذعر ، ولا يكون إلا فى المستقبل . وخاوفنى فلان فخفته أى كنت أشد خوفا منه[2] . انتهى .

ثانيا : المدلول الشرعى :

أخى القارىء .. لنا أن نصل من تعريف كلمة الخوف أنها تعنى عموم الفزع والذعر ، من الإنسان كان أو الحيوان الكاسر ، أو الإله المعبود .

---

(١) لسان العرب ٢ / ١٢٩٢

(٢) تفسير القرطبي ١ / ٢٨٠

ولكننا ههنا نقصد الخوف من الذات الإلهية ، والعظمة الربانية .

وهنا — أى فى موضوع الخوف — نرى شيئا عجيبا ، وأمر غريبا ، ألا وهو أن الإنسان بفطرته الغريزية إذا خاف من المخلوق فر منه وخشى لقائه ، بل وكره ذلك اللقاء ، ولكن بالضد تماما وهو أننا نجد أن الإنسان إذا خاف من الخالق — جلت قدرته — عاد إلى طاعته ولجأ إليه واحتمى به . وهنا نرى الروعة الإلهية ، والقدرة الربانية ، ويبدو ذلك واضحا فى قوله تعالى :

(**فَفِرُّوا إلى الله**)[٣] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : فروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم ، فروا منه إليه ، واعملوا بطاعته .

وهنا نقول : إن الخوف من الله يدخل فيه الخوف من النار ، والبكاء من خشية الجبار ، والندم على التقصير في حق القهار . وهذا الخوف — من الله — من الخوف المحمود ، لأنه يؤدى إلى الوصول إلى المحبوب ، والفوز بالمرغوب ، والنجاة من المرهوب .

فإن الخوف من الله صفة من صفات الكمال فى حق الله ، وكذلك الحب فى الله صفة كمال فسبحان من تتعدد وتتضاد له الصفات ولكن كلها صفات كمال ، وهذا بعكس الإنسان ، فإن الخوف فيه من غير الله صفة نقص ، وخور ، وضعف .

قال أبو القاسم الحكيم : من خاف شيئا هرب منه ، ومن خاف الله هرب إليه[٤] .

---

(٣) سورة الذاريات : ٥٠

(٤) الإحياء ٤ / ١٥٣

قال أبو حفص رحمه الله : الخوف سوط الله ، يقوِّم به الشاردين عن بابه .

وقال : الخوف سراج فى القلب . به يبصر ما فيه ـــ يقصد العبد ـــ من الخير والشر . وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل . فإنك إذا خفته هربت إليه(٥) . انتهى .

ويقول ابن القيم : وحقيقة الفرار : الهرب من شيء إلى شيء وهو نوعان : فرار السعداء . وفرار الأشقياء .

ففرار السعداء : الفرار إلى الله عز وجل . وفرار الأشقياء : الفرار منه لا اليه . وأما الفرار منه إليه : ففرار أوليائه(٦) . انتهى .

---

(٥) مدارج السالكين ١ /٥٥٠ ، والرسالة القشيرية (١٠١)

(٦) مدارج السالكين ١ / ٥٠٤

فَضِيلَةُ مَنْزِلَةِ الخَوْفِ

قال ابن القيم :

هى من أجلّ منازل الطريق وأنفعها للقلب ، وهى فرض على كل أحد

قال الله تعالى : (**فَلَا تَخَافُوهُم وخَافُونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**)[٧] .

وقال تعالى : (**فَإيَّاىَ فَارْهَبُونِ**)[٨] .

ومدح أهله وأثنى عليهم فقال :

(**إنَّ الذينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ**) إلى قوله : (**أُولَئِكَ يُسارِعُونَ فى الخَيْرَاتِ وَهُم لَهَا سَابِقُونَ**)[٩] .

والخوف المحمود الصادق : ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط[١٠] .

---

(٧) سورة آل عمران : ١٧٥

(٨) سورة البقرة : ٤٠

(٩) سورة المؤمنون : ٥٧ ــ ٦١

(١٠) مدارج السالكين ١ / ٥٤٨

آيات الخوف

وردت مادة كلمة خوف بتصاريفها المختلفة / ١٢٤ / مرة في القرآن الكريم وهى على الترتيب التالى :

خاف ــ خافت ــ خافوا ــ خفت ــ خفتكم ــ خفتم ــ أخاف ــ تخاف ــ تخافا ــ تخافن ــ تخافوا ــ تخافون ــ تخافونهم ــ تخافوهم ــ تخافى ــ تخف ــ نخاف ــ يخاف ــ يخافا ــ يخافه ــ يخافوا ــ يخافون ــ خافون ــ نخوفهم ــ يخوف ــ ويخوفونك ــ خوف ــ خوفا ــ خوفهم ــ خائفا ــ خائفين ــ خيفة ــ خيفتكم ــ خيفته ــ تخويفا ــ تخوف .

البَابُ الأَوَّل

التَّرْغِيبُ

فِي الخَوْفِ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

الفَصلُ الأوّل

الترغيب
في الخوف من الله
في القرآن الكريم

قال عز وجل : (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)[1].

قال مجاهد والنخعي رحمهما الله : هو الرجل يهم بالمعصية ، فيذكر الله فيدعها من خوفه .

وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله : جنة لخوفه من ربه ، وجنة لتركه شهوته .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : — يقول الله تعالى (**ولمن خاف مقامَ ربِّهِ**)بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، ونهى النفس عن الهوى ، ولم يطع ، ولا آثر الحياة الدنيا وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله ، واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان .

---

(١) سورة الرحمن : ٤٦

وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال :

(جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن)[٢] .

وقال جل ثناؤه : (**وأَمَّا مَنْ خَافَ مقامَ ربِّهِ ونهى النفس عن الهوى فإن الجَنَّةَ هى المأوى**)[٣] .

قال ابن كثير رحمه الله :[٤]

أى خاف القيام بين يدى الله عز وجل ، وخاف حكم الله فيه ، ونهى النفس عن هواها ، وردها إلى طاعة مولاها (فإن الجنة هى المأوى) أى منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء . انتهى .

وقال تبارك وتعالى :

(**قُل إنى أَخَافُ إنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**)[٥]

قال القرطبى رحمه الله[٦] : أى بعبادة غيره أن يعذبنى ، والخوف توقع المكروه . انتهى

وقال عز وجل :

---

(٢) صحيح البخاري

(٣) سورة النازعات : ٤٠

(٤) تفسير ابن كثير : ٤ / ٤٦٩

(٥) سورة الأنعام : ١٥

(٦) تفسير القرطبي (٢٣٩٤)

(إنَّا نخافُ من رَبِّنَا يَوْمَاً عَبُوساً قَمْطَرِيْراً)[7]

قال ابن كثير رحمه الله :[8]

أى إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ، ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير . انتهى

قلت : فهذا يا عبد الله حال الخائفين ، عملوا لله فى الدنيا على أمل النجاة فى الآخرة ، وعلى الطمع فى عفو الله . فما بالنا إذا عملنا أردنا ثواب الدنيا ، فإن لم يكن لم نعمل شيئا .

وقال تقدست أسماؤه :

(وأَنْذِرْ به الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إلى ربهم)[9]

قال ابن كثير رحمه الله :[10]

أى وأنذر بهذا القرآن يا محمد ـ ﷺ ـ الذين هم من خشية ربهم مشفقون يوم القيامة (**لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونهِ وَليٌّ ولا شَفِيعٌ**) أي يومئذ لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أراده منهم (**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**) أي أنذر هذا الذى لا حاكم فيه إلا الله عز وجل (**لعلهم يتقون**) فيعملون فى هذه الدار عملا ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه . انتهى

---

(٧) سورة الإنسان : ١٠

(٨) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٥٥

(٩) سورة الأنعام : ٥١

(١٠) تفسير ابن كثير ١ / ١٣٤

وقال عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ ﴾[11] .

قال ابن كثير رحمه الله :[12] .

﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾من صلة الأرحام والإحسان إليهم وإلى الفقراء ، وبذل المعروف**﴿ ويخشون ربهم ﴾** أى فيما يأتون به وما يذرون من الأعمال يراقبون الله في ذلك ، ويخافون سوء الحساب فى الدار الآخرة . انتهى .

وقال جل وعلا :

﴿ يَخَافُونَ يَوْماً تتقلبُ فِيهِ القُلُوبُ والأَبْصَارُ ﴾[13] .

نعم يا عبد الله لقد خافوا هذا اليوم العظيم يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة .

قال الحسن البصرى رحمه الله :

ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة ، لا يأكلون فيها أكلة ، ولا يشربون فيها شربة ، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا ، واحترقت أجوافهم جوعا ، انصرف بهم — يقصد العصاة والمجرمين — إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها ، واشتد لفحها .[14] . انتهى .

---

(١١) سورة الرعد : ٢١

(١٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٥١٠

(١٣) سورة النور : ٣٧

(١٤) الإحياء ٤ / ٥٠٠

هٰذا يا عبد الله قد خاف أهل الإيمان ـــ من يوم اللقاء بالرحمن ـــ خوفا شديدا ، فاستعدوا له استعدادا عظيما ، ومع ذلك فقد بكوا خوفا من تقلب الأحوال بهم عند كشف السرائر ، وفضح البواطن في يوم تخشع فيه الأبصار ، وتسكن الأصوات ، ويقل فيه الالتفات ، وتبرز الخفيات ، وتظهر الخطيئات ، يوم يساق العباد ومعهم الأشهاد ، ويشيب الصغير ويسكر الكبير ، وأغلى الحميم ، وزفرت النار ، ويئس الكفار ، وسعرت النيران ، وتغيرت الألوان ، وخرس اللسان ، ونطقت الجوارح .

فيا أيها الإنسان قل لى بربك ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب ، وأرخيت الستور ، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور ، فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين .

وقال تبارك وتعالٰى :

﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾(١٥)

قال الشيخ الصابوني : (١٦) أى تتنحى وتتباعد أطرافهم عن الفرش ومواضع النوم ، والغرض أن نومهم بالليل قليل لانقطاعهم للعبادة كقوله تعالى :

﴿كَانُوا قَلِيْلاً مِنَ الليلِ ما يَهْجَعُونَ ، وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون ﴾(١٧) .

---

(١٥) سورة السجدة : ١٦

(١٦) صفوة التفاسير ١٢ / ١٠٨٩

(١٧) سورة الذاريات : ١٨

وقال مجاهد رحمه الله : يعنى قيام الليل .

(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً) أى يدعون ربهم خوفا من عذابه ، وطمعا في رحمته وثوابه . انتهى .

وقال عز وجل :

(وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيْدِ)[18] .

قال القرطبى[19] رحمه الله : أى مقامه بين يدى الله . يوم القيامة ، فأضيف المصدر إلى الفاعل . والمقام مصدر كالقيام ، يقال قام قياما ومقاما ، وأضاف ذلك إليه لاختصاصه به . والمقام بفتح الميم مكان الإقامة ، وبالضم فعل الإقامة ، و (ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى)أى قيامى عليه ، ومراقبتى له . انتهى .

وقال تبارك وتعالى :

(وإِيَّاىَ فارْهَبُونِ) قال قتادة : فاخشون

وبعد ... عبد الله إن الآيات فى الباب كثيرة جداً معلومات . وكان الغرض ها هنا الإشارة إلى بعضٍ منها ، لعل ذلك يحدث لنا ذكرى ، فنخشى الله عز وجل ونتقى فإن فى ذلك الفوز بالدنيا والآخرة .

---

(١٨) سورة ابراهيم : ١٤

(١٩) تفسير القرطبي (٣٥٧٧)

الفصل الثاني

الترغيب في الخوف من السنة النبوية

الفصل الثاني

الترغيب في الخوف من السنة النبوية

عن أنس رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط : فقال :[1]

لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ، فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين[2] .

وفي رواية : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال :

عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيراً ، فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه ، غطوا رءوسهم ولهم خنين .

عن عدى بن حاتم ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله ﷺ :

« ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ،

(١) متفق عليه

(٢) الخنين هو البكاء مع الغنة وانتشاق الصوت من الأنف

وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه . فاتقوا النار ولو بشق تمرةٍ »

عن المقداد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل .

قال سليم بن عامر الراوى عن المقداد : فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذى يكحل به العين — فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه[3] ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً — وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[4] .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم »[5] .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل يوضع فى أخمص[6] قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً[7] .

---

(٣) مفرده حقو بفتح الحاء وكسرها ، وهو فى معقد الإزار أى فى منتصف الجسم تقريباً

(٤) رواه مسلم

(٥) متفق عليه

(٦) الأخمص من باطن القدم

(٧) متفق عليه

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »[8] .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال سمعت رسول الله — ﷺ — يقول :

سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله . فذكرهم إلى أن قال « ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله »[9] .

وعنه — رضى الله عنه — قال إن رسول الله — ﷺ — قال :

كان رجل[10] يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه :

إذا أنا مت فاحرقونى ثم اطحنونى ثم ذرُّونى فى الريح[11] ، فوالله لئن قدر الله علىَّ[12] ليعذبنى عذاباً ما عذبه أحداً ، فلما مات فعل به ذلك[13] فأمر الله الأرض فقال : اجمعى ما فيك ، فإذا هو قائم .

(٨) رواه مسلم

(٩) متفق عليه

(١٠) أى ممن كانوا قبلنا

(١١) أى طيروا أجزاء جسمى وفرقوها هنا وهناك ، والتزرية التفريق

(١٢) قدر بتخفيف الدال من القدرة أى تمكن من إعادتى حيا

(١٣) يعنى نفذ أبناؤه وصيته

فقال : ما حملك على ما صنعت ؟

قال : خشيتك يا رب — أو قال — مخافتك فغفر له[١٤] .

وعنه — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — ﷺ — :

« لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع »[١٥] .

---

(١٤) متفق عليه

(١٥) قال الحافظ العراقى : رواه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه .
تخريج الإحياء ٤ / ١٦٠

البَابُ الثَّانِي

فِي تَرْغِيبِ السَّلَفِ

فِي الخَوْفِ مِنَ اللهِ ، وَالبُكَاءِ مِنْ خَشْيَتِهِ

فضيلة البكاء من خشية الله

عن أبى صالح قال :

لما قدم أهل اليمن فى زمان أبى بكر فسمعوا القرآن جعلوا يبكون . فقال أبو بكر : هكذا كنا ثم قست القلوب .[1]

قال أبو سعيد مولى أبى أسيد :

كان عمر إذا صلى أخرج الناس من المسجد فأخذ إلينا ، فلما رأى أصحابه ألقى الدرة وجلس فقال : ادعوا ، فدعوا ، قال : فجعل يدعو ويدعو حتى انتهت الدعوة إلىَّ ، فدعوت وأنا مملوك فرأيته ـــ أى عمر ـــ دعا وبكى بكاء لا تبكيه الثكلى فقلت فى نفسى : هذا الذى تقولون إنه غليظ[2] .

قال أبى بن كعب :

عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فمسته النار أبداً ، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الله فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ١٤ / ٦

(٢) المصدر السابق

كمثل شجرة يبس ورقها فهى كذلك إذا أصابتها ريح فتحات ورقها عنها إلا تحاتت خطاياه كما يتحات من هذه الشجرة ورقها ، وإن اقتصاداً فى سنة وسبيل خير من اجتهاد فى غير سنة وسبيل ، فانظروا أعمالكم ، فإن كانت اقتصاداً واجتهادا أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم[٣] .

عن عبد الله بن شداد أنه قال :

سمعت نشيج عمر وأنا فى آخر الصف وهو يقرأ سورة يوسف : « **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللهِ** »[٤] .

عن شقيق بن سلمة قال :

دخلنا على خباب نعوده فقال : فى هذا التابوت ثمانون ألفاً ما شددتها بخيط ، ولا منعتها من سائل ، فقالوا : علام تبكى ؟ قال : مضى أصحابى ولم تنقصهم الدنيا شيئا وبقينا حتى ما نجد لها موضعا إلا التراب[٥] .

عن ابن أبى مليكة قال :

رأيت عبد الله بن عمرو وهو يبكى فنظرت إليه فقال : أتعجب من خشية الله ، فإن لم تبكوا حتى يقول أحدكم : ايه ايه ، إن هذا القمر ليبكى من خشية الله تعالى[٦] .

---

(٣) أخرجه ابن المبارك فى زوائد الزهد (٢١) وأبو نعيم فى الحلية ١ / ٢٥٢ ، والإمام أحمد فى الزهد (١٩٦)

(٤) سورة يوسف : ٨٦

(٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ / ١٤٥ من طريق سعيد بن يحيى عن ابن إدريس

(٦) أخرجه ابن المبارك فى الزهد ص ٥٢٩ من طريق نافع بن عمر عن ابن أبى مليكة عن ابن طارق

عن ابراهيم التيمى قال :

لقد أدركت ستين من أصحاب عبد الله فى مسجدنا هذا أصغرهم الحارث بن سويد وسمعته يقرأ « **إِذَا زُلْزِلَت** » حتى بلغ « **فمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ** » قال : فيبكى ثم قال : إن هذا الإحصاء شديد(٧) .

قال كعب :

لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب إلىَّ من أن أتصدق بوزنى ذهبا ، والذى نفس كعب بيده ما من عبد مسلم يبكى من خشية الله حتى تقطر قطرة من دموعه على الأرض فتمسه النار أبداً حتى يعود قطر السماء الذى وقع على الأرض من حيث جاء ولن يعود أبداً(٨) .

قال وهيب بن الورد :

بلغنا أنه ضرب لخوف الله مثل فى الجسد ، قيل :

إنما مثل خوف الله كمثل الرجل يكون فى منزله فلا يزال عامراً ما دام فيه ربه ، فإذا فارق المنزل ربه وسكنه غيره خرب المنزل ، وكذلك خوف الله تعالى إذا كان فى جسد لم يزل عامراً ما دام فيه خوف الله ، فإذا فارق خوف الله الجسد خرب ، حتى إن المار يمر بالمجلس من الناس فيقولون : بئس العبد فلان ، فيقول بعضهم

---

(٧) أخرجه أبو نعيم ٤ / ١٢٧ ، من طريق هشام بن على عن الأعمش ، وأورده السيوطى فى الدر ٦ / ٣٨٢

(٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٥ / ٣٦٦ عن عبد الوارث عن الجريرى ، والإحياء ٤ / ١٦٠

لبعض : ما رأيتم منه ؟ فيقولون : ما رأينا منه شيئا غير أنا نبغضه ، وذلك أن خوف الله فارق جسده .

وإذا مر بهم الرجل فيه خوف الله ، قالوا : نعم والله الرجل فيقولون : أى شيء رأيتم منه ؟ فيقولون ما رأينا منه شيئاً غير أنا نحبه[9] .

قال عبد الله بن عمر :

لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار[10] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال :

ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذى نفسى بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، ولصلى حتى ينكسر صلبه[11] .

وقيل للحسن : يا أبا سعيد كيف نصنع نجالس أقواماً يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير . فقال : والله إنك إن تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنوك حتى يدركك الخوف[12] .

قال أبو سليمان الدارانى :

أصل كل خير فى الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل ، وكل قلب ليس فيه خوف الله فهو قلب خرب[13] .

---

(٩) التخويف لابن رجب (٥)

(١٠) الإحياء ٤ / ١٦٠

(١١) المصدر السابق

(١٢) المصدر السابق

(١٣) التخويف (٤) ، والإحياء ٤ / ١٥٩

وسئل ابن المبارك عن رجلين أحدهما خائف والآخر قتيل فى سبيل الله عز وجل قال : أحبهما إلى أخوفهما[١٤] .

وعن زاذان أبى عمر قال :

بلغنا أنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها ، ومن بكى شوقاً إلى الجنة أسكنه الله إياها[١٥] .

وكان عبد الواحد بن زيد يقول :

يا إخوتاه ألا تبكون شوقاً إلى الله عز وجل ، ألا إنه من بكى شوقاً إلى سيده لم يحرمه النظر إليه ، يا إخوتاه ألا تبكون خوفاً من النار ، ألا إنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها[١٦] .

وعن فرقد السبخى قال :

قرأت فى بعض الكتب أن الباكى على الجنة لتشفع له الجنة إلى ربها ، فتقول : يا رب أدخله الجنة كما بكى علىَّ ، وإن النار لتستجير له من ربها فتقول : يا رب أجره من النار كما استجار منى ، وبكى خوفاً على دخولى[١٧] .

وقيل ليحيى بن معاذ :

من آمن الناس غداً ؟ قال : أشدهم خوفاً اليوم[١٨] .

وعن وهب بن منبه قال :

ما عبد الله بمثل الخوف[١٩] .

---

(١٤) التخويف (٥)

(١٥) التخويف (٤١)

(١٦) المصدر السابق

(١٧) المصدر السابق

(١٨) الإحياء ٤ / ١٥٩

(١٩) التخويف (٤)

قال طاووس :

إن القمر ليبكى من خشية الله ولا ذنب له ، ولا يسأل عن عمل ولا يجازى به[٢٠] .

وكان محمد بن المنكدر إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول : بلغنى أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع[٢١] .

عوتب أحد السلف فى كثرة بكائه ، فقال : إنى إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل وعقابه ، تمثلت لى نفسى بينهم ، فكيف لنفس تغل يداها عنقها ، وتسحب إلى النار أن لا تبكى وتصيح ؟ وكيف لنفس تعذب أن تبكى ؟

وقال يزيد بن عبد الله بن الشخير :

كنا نحدَّث أن صاحب النار الذى لا تمنعه مخافة الله من شيء خفى له[٢٢] .

عن مالك بن مغول قال : قال رجل للشعبى :

أيها العالم أفتنا . قال : العالم من يخاف الله[٢٣] .

قال ابراهيم التيمى :[٢٤]

---

(٢٠) التخويف (٣٩)

(٢١) الإحياء ٤ / ١٦٠

(٢٢) التخويف (٤)

(٢٣) الحلية ٤ / ٣١١

(٢٤) التخويف (١٢) ، صفة الصفوة ٣ / ٩١

ينبغى لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار ، لأن أهل الجنة قالوا « **الحمدُ لله الذى أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ** »[٢٥] وينبغى لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا « **إنَّا كُنَّا قَبْلُ فى أهلِنَا مُشْفِقِين** »[٢٦] .

قال الفضيل بن عياض :

الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحاً ، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل[٢٧] .

عن سعيد بن جبير قال :

الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيته ، فتلك الخشية ، والذكر طاعة الله ، ومن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطع الله فليس بذاكر ، وإنْ أكثر التسبيح وتلاوة الكتاب[٢٨] .

وعن عون بن عبد الله قال : قال عبد الله بن مسعود :

« ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية »[٢٩] .

---

(٢٥) سورة فاطر : ٣٤

(٢٦) سورة الطور : ٢٦

(٢٧) التخويف (٥)

(٢٨) الزهد لابن المبارك (٣٥) ، صفة الصفوة ٣ / ٧٨

(٢٩) صفة الصفوة ١ / ٤١٦

وعن الحسن البصرى قال :

إن المؤمنين عجلوا الخوف فى الدنيا فأمَّنهم الله يوم القيامة ، وإن المنافقين أخروا الخوف فى الدنيا فأخافهم الله يوم القيامة[٣٠] .

وعنه قال : أكيسهم من بكى[٣١] .

قال يحيى بن معاذ :

على قدر خوفك من الله يهابك الخلق ، وعلى قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر شغلك بالله يشتغل الخلق بأمرك[٣٢] .

وقال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل :

الخوف من الله يوصلك إليه ، والعجب يقطعك عنه ، واحتقار الناس فى نفسك مرض لا يداوى[٣٣] .

قال ابراهيم بن سفيان :

إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها[٣٤] .

---

(٣٠) المصنف لابن أبي شيبة ١٣ / ٥٠٥

(٣١) المصنف ١٣ / ٥٠٥ ، الزهد لابن المبارك (٤١)

(٣٢) صفة الصفوة ٤ / ٩٥

(٣٣) صفة الصفوة ٤ / ١٠٥

(٣٤) مدارج السالكين ١ / ٥٥٠

الباب الثالث

أحوال الصحابة والخوف من الله

أَحْوَالُ الصَّحَابَةِ فِي شِدَّةِ الخَوْفِ

قال أبو عمران الجوني : قال أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه :

لوددت أنى شعرة فى جنب عبد مؤمن[1]

وعن الحسن قال : قال أبو بكر الصديق :

يا ليتنى شجرة تعضد [2] ثم تؤكل[3] .

عن عبد الله بن عمر قال : كان عمر بن الخطاب يقول :

« لو مات جدى بطفّ الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر »[4] .

وعن عبد الله بن عامر قال :

رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال : « ليتنى كنت

---

(١) صفة الصفوة : ١ / ٢٥١

(٢) تعضد : تقطع

(٣) المصدر السابق

(٤) صفة الصفوة ١ / ٢٨٥ ، وذكره صاحب الحلية ، وصاحب الإحياء بلفظ آخر

هذه التبنة ، ليتنى لم أخلق ، ليت أمى لم تلدنى ، ليتنى لم أكن شيئاً ، ليتنى كنت نسياً منسياً »(٥) .

وعن عبد الله بن عيسى قال : كان فى وجه عمر خطان أسودان من البكاء(٦) .

وقال رضى الله عنه :

لو نادى مناد من السماء : أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلًا واحداً لخفت أن أكون أنا هو(٧) .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ــ أنه قال لعمر ــ رضى الله عنه ــ حين طُعن :

يا أمير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، ولم يختلف عليك اثنان ، وقتلت شهيداً . فقال عمر ــ رضى الله عنه ــ المغرور من غررتموه ، والله لو أن لى ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع(٨) .

وروى عن أبى ميسرة ــ رضى الله عنه ــ أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال : ليت أمى لم تلدنى . فقالت له امرأته : يا أبا ميسرة ، إن الله قد أحسن إليك ، وهداك إلى الإسلام . قال : أجل ، ولكن الله قد بين لنا أنّا واردون النار ، ولم يبين لنا أنا صادرون عنها(٩) .

---

(٥) المصدر السابق

(٦) المصدر السابق

(٧) التخويف (١٣)

(٨) تنبيه الغافلين ٢ / ٤١٨

(٩) يشير إلى قوله تعالى من سورة مريم : ٧١ ، ٧٢ « وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتماً مقضياً »

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

ينبغى لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس مفطرون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذ الناس يتكلمون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون .

وينبغى لحامل القرآن أن يكون محزوناً حليماً سكيناً ليناً ، ولا ينبغى أن يكون جافياً ، ولا غافلًا ولا صياحاً ولا حديداً[١٠] .

وسئل ابن عباس — رضى الله عنهما — عن الخائفين ؟ فقال : قلوبهم بالخوف فرحة ، وأعينهم باكية ، يقولون : كيف نفرح والموت من ورائنا ، والقبر أمامنا ، والقيامة موعدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدى الله ربنا موقفنا ؟ [١١] .

عن مسروق قال : قال رجل عند عبد الله بن مسعود :

ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين ، أكون من المقربين أحب إلىَّ فقال عبد الله : لكن هاهنا رجل ود أنه إذا مات لا يبعث[١٢] ، يعنى نفسه .

وعن أبى وائل قال : قال عبد الله : وددت أن الله غفر لى ذنباً من ذنوبى وأنه لا يعرف نسبى[١٣] .

---

(١٠) تنبيه الغافلين ٢ / ٦١٨

(١١) الإحياء ٤ / ١٨١

(١٢) صفة الصفوة ١ / ٤٠٥

(١٣) المصدر السابق

وعن الحارث بن سويد قال : قال عبد الله لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيتم[١٤]على رأسي التراب[١٥] .

عن عبد الله بن رواحة : أنه بكى فبكت امرأته فقال : ما يبكيك ؟ قالت : رأيتك بكيت فبكيت لبكائك . قال : إنى أنبئت أنى وارد ولم أنبأ أنى صادر[١٦] .

عن ثور بن يزيد قال : كان معاذ بن جبل إذا تهجد من الليل قال : اللهم قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حى قيوم ، اللهم طلبى للجنة بطيء ، وهربى من النار ضعيف ، اللهم اجعل لى عندك هدى ترده إلىَّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد[١٧] .

عن القاسم بن أبى بزة قال : حدثنى من سمع ابن عمر قرأ « **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ** »[١٨] حتى بلغ « **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** »[١٩] قال : فبكى حتى حن وامتنع من قراءة ما بعد[٢٠] .

وعن سمير الرياحى عن أبيه قال : شرب عبد الله بن عمر ماء مبرداً فبكى فاشتد بكاؤه ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت آية فى كتاب الله عز وجل « **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ** »[٢١] فعرفت أن

---

(١٤) رميتم . يقال حثي يحثى حثياً ، ويحثو حثواً

(١٥) المصدر السابق

(١٦) صفة الصفوة ١ / ٤٨٣ ، الحلية ١ / ١١٨

(١٧) صفة الصفوة ١ / ٤٩٢

(١٨) سورة المطففين : ١

(١٩) سورة المطففين : ٦

(٢٠) المصدر السابق

(٢١) سورة سبأ : ٥٤

أهل النار لا يشتهون شيئاً ، شهوتهم الماء ، وقد قال الله عز وجل « **أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَو مِمَّا رَزَقَكُمُ الله** »[٢٢] .

وعن نافع قال : كان ابن عمر إذا قرأ « **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهم لِذِكْرِ الله** »[٢٣] بكى حتى يغلبه البكاء[٢٤] .

وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى ذر قال :

والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ، ولا تقاررتم على فرشكم ، والله لوددت أن الله عز وجل خلقنى يوم خلقنى شجرة تعضد ويؤكل ثمرها[٢٥] .

وعن أسد بن وداعة عن شداد بن أوس أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم ، فيقول : اللهم إن النار أذهبت منى النوم فيقوم فيصلى حتى يصبح[٢٦] .

وعنه قال : كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلى ، فيقول : اللهم إن النار قد أسهرتنى ، ثم يقوم إلى الصلاة[٢٧] .

وعن مجاهد قال : كان ابن الزبير ، إذا قام فى الصلاة كأنه عود من الخشوع[٢٨] .

---

(٢٢) سورة الأعراف : ٥٠

(٢٣) سورة الحديد : ١٦

(٢٤) المصدر السابق

(٢٥) صفة الصفوة ١ / ٥٩٥

(٢٦) صفة الصفوة ١ / ٧٠٩

(٢٧) المصدر السابق

(٢٨) صفة الصفوة ١ / ٧٦٥

وعن بكر المزنى أن أبا موسى الأشعرى خطب الناس بالبصرة ، فذكر فى خطبته النار فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر ، قال وبكى الناس يومئذ بكاءً شديداً[٢٩] .

وقال عمران بن حصين : يا ليتنى كنت رماداً تذروه الرياح[٣٠] .

وقال على — رضى الله عنه — فى وصف الصحابة على الإجمال ما نصه :

والله لقد رأيت أصحاب رسول الله — ﷺ — فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقدْ كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، بين أعينهم أمثال ركب المعزى ، قد باتوا لله سجداً وقياماً ، يتلون كتاب الله تعالى ، يراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله عز وجل ، مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين »[٣١] .

وقال الحسن البصرى فى وصفهم :

« حلماء إن جهل عليهم لم يسفهوا ، هذا نهارهم فكيف ليلهم ؟ خير ليل أجروا دموعهم على خدودهم ، وصفوا أقدامهم يطلبون إلى الله فى فكاك رقابهم[٣٢] .

وقال أبو حيان التيمى سمعت منذ ثلاثين سنة أو أكثر أن عبد الله بن مسعود مر على الذين ينفخون على الكير فسقط . أخرجه أحمد .

---

(٢٩) التخويف (٣٢)

(٣٠) منهاج القاصدين (٣٢٦)

(٣١) الإحياء ٤ / ١٨٠

(٣٢) المصنف ١٣ / ٥٠٦

وقال سعد بن الأحزم كنت أمشى مع ابن مسعود فمر بالحدادين وقد أخرجوا حديداً من النار فقام ينظر إليه ويبكى[٣٣] .

قال الحسن البصرى فى وصف الصحابة :

لقد أدركت أقواماً وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشىء من الدنيا أقبل ، ولا يتأسفون على شىء منها أدبر ، ولهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب الذى تطؤونه بأرجلكم إن كان أحدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب ، ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط ، وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ، إذا جَنهَّمُ الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم .

إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم ، وسألوا أن يغفرها لهم ، والله مازالوا كذلك ، وعلى ذلك ، ووالله ما سلموا من الذنوب ، ولا نجوا إلا بالمغفرة[٣٤] .

وعن عون بن عبد الله قال : قال عبد الله بن مسعود :

ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية[٣٥] .

قال معاذ بن عون :

كنت أكون قريباً من الجبان ، فكان يمر بى رياح القيسى بعد

(٣٣) التخويف (٢٤)

(٣٤) الإحياء ٤ / ٣٩٦ ، وأوردها ابن أبى شيبة فى المصنف باختصار ١٣ / ٥٠٦

(٣٥) صفة الصفوة ١ / ٤١٦

المغرب إذا خلت الطريق فكنت أسمعه وهو يتشنج بالبكاء وهو يقول : إلى كم يا ليل يا نهار تحطان من أجلى وأنا غافل عما يراد بى ؟ إنا لله إنا لله . فهو كذلك حتى يغيب عنى وجهه .

وعن الفرات بن سليمان قال : كان الحسن يقول :

إن المؤمنين قوم ذلت — والله — منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرضى ، وهم والله أصحاب القلوب ألا تراه يقول « **وَقَالُوا الحَمْدُ لله الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ** »[٣٦] ، والله لقد كابدوا فى الدنيا حزناً شديداً ، وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم ، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار[٣٧] .

وسمع عمر بن الخطاب رجلًا يتهجد فى الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ إلى قوله تعالى « **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَالَهُ مِنَ دَافِعٍ** »[٣٨] قال عمر : قسم ورب الكعبة حق ، ثم رجع إلى منزله فمرض شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه[٣٩] .

قال أحد السلف :

الحزن يمنع الطعام ، والخوف يمنع الذنوب[٤٠] .

قال الحسن البصرى — رحمه الله :

لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب ، فإنك لن تلحق

---

(٣٦) سورة فاطر : ٣٤

(٣٧) التخويف (٢٠)

(٣٨) الطور : ٧ ، ٨

(٣٩) التخويف (٢٩)

(٤٠) تنبيه الغافلين ٢ / ٤١٩

الأبرار إلا بأعمالهم ، فإن اليهود والنصارى وأهل البدعة يحبون أنبياءهم وليسوا معهم[٤١] .

قال شقيق بن ابراهيم ــ رحمه الله :

ليس للعبد صاحب خيراً له من الهم والخوف ، هم فيما مضى من ذنوبه وخوف فيما بقى لا يدرى ما ينزل به .

قال عامر بن قيس ــ رحمه الله :

أكثر الناس فرحاً فى الآخرة أطولهم حزناً فى الدنيا ، وأكثر الناس ضحكاً فى الآخرة أكثرهم بكاءً فى الدنيا ، وأخلص الناس إيماناً يوم القيامة أكثرهم تفكراً فى الدنيا[٤٢] .

---

(٤١) المصدر السابق

(٤٢) المصدر السابق

الباب الرابع

أحوال التابعين والخوف من الله

الباب الرابع
أحوال التابعين والخوف من الله

○ قال محمد بن يزيد بن خنيس .

قال رجل لعبد العزيز بن أبي رواد كيف أصبحت ؟ فبكى وقال : أصبحت والله في غفلة عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بي ، وأجل يسرع كل يوم فى عمرى ، وموئل لست أدرى علام أهجم ؟ ثم بكى(١) .

○ عن سفيان قال : كان سعيد بن السائب الطائفى لا تكاد تجف له دمعة إن صلى فهو يبكى ، وإن جلس يقرأ القرآن فى المصحف فهو يبكى ، وإن طاف فهو يبكى .

فقلت يا سعيد ما يبكيك . وأنت تسمعنى أذكر أهل الخير وفعالهم ؟ فقال : يا سفيان وما يمنعنى من البكاء إذا ذكرت مناقب أهل الخير وكنت عنهم بمعزل ؟ . قال : يقول سفيان : حق له أن يبكى ، رحمه الله(٢) .

---

(١) صفة الصفوة ٢ / ٢٢٩

(٢) صفة الصفوة ٢ / ٢٨٤

○ **قال عبد الرحمن بن مهدى :**

ما عاشرت فى الناس رجلا أرق من سفيان الثورى ، وكنت أرمقه الليلةبعد الليلة فما كان ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزعا مرعوبا ينادى : النار النار شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات ، ثم يتوضأ ويقول على إثر وضوئه : اللهم إنك عالم بحاجتى غير معلم ، وما أطلب إلا فكاك رقبتى ، وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه(٣) .

○ **قال ابراهيم بن عيسى :**

ما رأيت أطول حزنا من الحسن ، وما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة(٤) .

○ **قال حفص بن عمر :**

بكى الحسن فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : أخاف أن يطرحنى غدا فى النار ولا يبالى(٥) .

○ **عن هشام بن حسان قال :**

ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في جوف الليل وهو يصلى(٦) .

○ كان حسان بن أبي سنان يحضر مسجد مالك بن دينار ، فإذا

---

(٣) المصدر السابق

(٤) صفة الصفوة ٣ / ٢٣٣

(٥) المصدر السابق

(٦) صفة الصفوة ٣ / ٢٤٦

تكلم مالك بكى مالك حتى يبل ما بين يديه ولا يسمع له صوت[٧] .

○ وكان شميط بن عجلان يقول فى مواعظه : إن المؤمن يقول لنفسه إنما هى ثلاثة أيام فقد مضى أمس بما فيه ، وغدا أمل لعلك لا تدركيه إنما هو يومك فإن كنت من أهل غد فسيجىء رب غد برزق غد ، إن دون غد يوما وليلة تخترم[٨] فيه أنفس كثيرة فلعلك المخترم فيه .

كفى كل يوم همه ، ثم حملت على قلبك الضعيف هم السنين والدهور والأزمنة وهم الغلاء والرخص وهم الشتاء قبل أن يجىء ، وهم الصيف قبل أن يجىء ، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة ؟

ما تطلب الجنة بهذا ، متى تهرب من النار ؟ كل يوم ينقص من أجلك ثم لا تحزن . أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ، لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع .

فالعجب كل العجب لمن صدَّق بدار الحيوان كيف يسعى لدار الغرور[٩] .

○ قال سعيد بن عامر : كان هشام بن أبي عبد الله قد أظلم بصره من طول البكاء ، وكنت تراه ينظر إليك فلا يعرفك إلا أن تكلمه[١٠] .

---

(٧) صفة الصفوة ٣ / ٣٣٩

(٨) تخترم : تموت

(٩) المصدر السابق

(١٠) صفة الصفوة ٣ / ٣٤٨

○ قال عفان بن مسلم : كنا نأتى مجلس صالح المرى ، وكان شديد الخوف من الله كثير البكاء[١١] .

○ قال أزهر بن مروان الرقاشيُّ : رأيت ضيغما العابد ، وكنت إذا رأيته رأيت رجلا لا يشبه الناس من الخشوع والحزن[١٢] .

○ ورد عن عمر بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ أنه كان يصلى ذات ليلة فقرأ « **إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** »[١٣] فجعل يرددها ويبكى ، حتى أصبح[١٤] .

○ ورد عن تميم الدارى ــ رضى الله عنه ــ أنه قرأ هذه الآية « **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** »[١٥] فجعل يرددها إلى الصباح ويبكى[١٦]

○ **قال يزيد بن حوشب :**

ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما[١٧] .

○ **وعن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال :**

سمعت عبد الله بن حنظلة يوما وهو على فراشه ، وعدته من علته ،

---

(١١) المصدر السابق

(١٢) المصدر السابق

(١٣) سورة غافر : ٧١

(١٤) تنبيه الغافلين ٢ / ٦٢٠

(١٥) سورة الجاثية : ٢١

(١٦) المصدر السابق

(١٧) التخويف (٢٠)

فتلا رجل عنده هذه الآية «**لَهُمْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**»[18] فبكى حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، وقال : صاروا بين أطباق النار ثم قام على رجليه ، فقال قائل : يا عبد الرحمن اقعد . قال : منعنى ذكر جهنم القعود ، ولا أدرى لعلّى أحدهم[19] .

○ **قال ابن أبي ذئب :**

حدثنى من شهد عمر بن عبد العزيز ــ وهو أمير المدينة ــ وقرأ عنده رجل «**وإذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوا هُنَالِكَ ثُبُوراً**»[20] فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه ، فقام من مجلسه ودخل بيته وتفرق الناس.[21] .

○ **قال العباس بن الوليد :**

كان الأوزاعى إذا ذكر النار لم يقطع ذكرها ، ولم يقدر أحد يسأله عن شيء حتى يسكت ، فأقول بينى وبين نفسى ترى بقى أحد فى المجلس لم يتقطع قلبه حسرات[22] .

○ قال مطر الوراق : كان حممة وهرم بن حيان إذا أصبحا غديا فمرا بأكورة الحدادين ، فنظرا إلى الحديد كيف ينفخ ، فيقفان ويبكيان ، ويستجيران من النار[23] .

---

(١٨) سورة الأعراف : ٤١

(١٩) المصدر السابق

(٢٠) سورة الفرقان : ١٣

(٢١) المصدر السابق

(٢٢) المصدر السابق

(٢٣) التخويف (٢٤)

○ وكان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح بالليل فيقرب أصبعه منه ، ثم يقول حس حس ، ثم يقول يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ، ما حملك على ما صنعت يوم كذا[٢٤] .

○ قال أحمد بن أبي الحوارى :

سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : إنما ارتفعوا بالخوف ، فإن ضيعوا نزلوا ،وينبغى للعاقل وإن بلغ أعلى درجة أن يفزع قلبه بأسفل درجة من ذكر الموت والمقابر والبعث[٢٥] .

○ قال مسكين بن دينار :

كان فى بنى تيم الله شيخ متعبد يجتمع إليه فتيان الحى ونساكهم . قال فيذكرهم ، فإذا أردوا أن يتفرقوا قال : يا إخوتاه قوموا قيام قوم قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم خوفا من خطفات الموكل بالنفوس . قال فيبكى والله ويبكى[٢٦] .

○ قال موسى بن مسعود :

كنا إذا جلسنا إلى الثورى كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه[٢٧] .

---

(٢٤) المصدر السابق

(٢٥) صفة الصفوة ٤ /٣٣

(٢٦) المصدر السابق

(٢٧) الإحياء ٤ / ١٨١

○ **قال الحسن البصرى :**

يخرج من النار رجل بعد ألف عام يا ليتنى كنت ذلك الرجل[٢٨] .

○ نظر عمر بن عبد العزيز إلى رجل عنده متغير اللون ، فقال له : ما الذى أرى بك ؟ قال : أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين إن شاء الله فأعاد عليه عمر ، فأعاد عليه الرجل مثل ذلك ثلاث مرات ، فقال: إذا أبيت إلا أن أخبرك ، فإنى ذقت حلاوة الدنيا فصغر فى عينى زهرتها ، واستوى عندى حجارتها وذهبها .

ورأيت كأن الناس يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار ، فأسهرت لذلك ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكل ذلك صغير حقير فى جنب عفو الله وثواب الله عز وجل وجنب عقابه[٢٩] .

○ قال سفيان : كان عمر بن عبد العزيز ساكتا وأصحابه يتحدثون ، فقالوا مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين ، قال : كنت مفكرا فى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ، وفى أهل النار كيف يصطرخون فيها ، ثم بكى[٣٠] .

○ **قال قبيصة بن قيس العنبرى :**

كان الضحاك بن مزاحم إذا أمسى بكى فيقال له : ما يبكيك ؟ فيقول لا أدرى ما صعد اليوم من عملى[٣١] .

---

(٢٨) المصدر السابق

(٢٩) التخويف (٣١)

(٣٠) المصدر السابق

(٣١) صفة الصفوة ٤ / ١٥٠

○ كتب بعض العلماء إلى بعض إخوانه :

أما بعد ، فإنه من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء(٣٢) .

○ خرج هرم بن حيان وعبد الله بن عامر فى سفر فمرا بشجرة ، فقال هرم لابن عامر : أتحب أنك شجرة من هذه الشجر ؟ فقال ابن عامر : لا والله . إنا لنرجو من رحمة الله ما هو أوسع من ذلك .

قال هرم : لكنى والله لوددت أنى شجرة من هذه الشجر ، قد أكلتنى هذه الراحلة ، ثم قذفتنى بعرا ، ولم أكابد الحساب يوم القيامة ، إما إلى الجنة ، وإما إلى النار ،ويحك يا ابن عامر إنى أخاف الداهية الكبرى! ! !(٣٣) .

وأخبارهم يا عبد الله في البكاء من خشية الله كثيرة ، وكثيرا ما كان أحدهم يبكى بكاء شديدا حين يمر ببعض آيات القرآن ، كأنه لم يكن قرأها أو سمعها من قبل .

○ بكى محمد بن المنكدر ليلة حتى فزع أهله ، وأبى أن يخبرهم فجاءوه بأبى حازم ، فقال : يا أخى ، قد روعت أهلك ، فما أبكاك ؟ قال : ذكرت آية في كتاب الله :

« **وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُون** »(٣٤) .

---

(٣٢) بهجة المجالس وأنس المجالس ١ / ٣٧٩

(٣٣) الخوف والرجاء (١٩)

(٣٤) سورة الزمر : ٤٧

فبكى أبو حازم معه ، واشتد بكاؤهما ، فقال بعض أهله لأبى حازم : جئنا بك لتفرج عنه فزدته ! فأخبرهم[٣٥] .

وهكذا كان شأن المؤمنين الصادقين حين يسمعون القرآن تضطرب فرائصهم ، وتفيض دموعهم ، وربما مر أحدهم بالآية من كتاب الله وهو فى أول الليل فلا يزال يرددها حتى يصبح .

○ قرأ عمر بن عبد العزيز ذات يوم قوله تعالى

« وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَاتَتْلُوا مِنْ قُرآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُم شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ »[٣٦] .

فبكى بكاء شديدا حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة بنت عبد الملك زوجته فجلست تبكى لبكائه ، ويبكى أهل الدار لبكائهما ، فجاء عبد الملك ابنه ، فدخل عليهم ، وهم على تلك الحال يبكون ، فقال : يا أبت ما يبكيك ؟ قال خير ، يا بنى . ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ، ولم تعرفه .

والله — يا بنى — لقد خشيت أن أهلك ، والله — يا بنى — لقد خشيت أن أكون من أهل النار[٣٧] .

○ عن عبد الله بن رباح قال : كان صفوان بن محرز المازنى — رحمه الله — إذا قرأ هذه الآية « **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ**

---

(٣٥) المصدر السابق

(٣٦) سورة يونس ٦١

(٣٧) الخوف والرجاء (٥٢)

مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ »[٣٨] بكى حتى أقول اندق قصيص زوره[٣٩]

○ مرض عامر بن عبد قيس فقيل له : ما يبكيك وقد كنت ؟ فيقول : مالى لا أبكى ومن أحق بالبكاء منى ؟ والله ما أبكى حرصا على الدنيا ، ولا جزعا من الموت ، ولكن لبعد سفرى وقلة زادى ، وإنى أمسيت فى صعود وهبوط ، جنة أو نار ، فلاأدرى إلى أيهما أصير[٤٠] .

يقول أبو نعيم :وكان من أفضل العابدين .

○ وكان علقمة بن قيس يقول له : لم تعذب هذا الجسد ؟ قال : راحة هذا الجسد أريد .

عن ثابت البنانى قال : قال مطرف : إنى لأستلقى من الليل على فراشى فأتدبر القرآن وأعرض عملى على عمل أهل الجنة ، فإذا أعمالهم شديدة .

« **كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَيلِ مايَهْجَعُون** »[٤١] .

« **يَبِيتُونَ لَرَبِّهِم سُجَّداً وقِيَاما** »[٤٢] .

« **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَيلِ سَاجِداً وَقَائِماً** »[٤٣] . فلا أرانى فيهم . وأمر بهذه الآية :

---

(٣٨) سورة الشعراء : ٢٢٧

(٣٩) القصيص عظم الصدر . الحلية ٢ / ٢١٤

(٤٠) المصدر السابق ٢ / ٨٨

(٤١) الذاريات : ١٧

(٤٢) الفرقان : ٦٤

(٤٣) الزمر : ٩

« وَآخَرُونَ اعتَرَفُوا بِذُنُوبِهم خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً »[٤٤] فأرجوا أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم[٤٥].

○ **وقال ثابت ـــ رحمه الله ـــ :**

أدركت رجالا كان أحدهم يصلي فيعجز أن يأتي فراشه إلا حبوا ، وكان أحدهم يقوم حتى تتورم قدماه من طول القيام ، ويبلغ من الاجتهاد في العبادة مبلغا ما لو قيل له : القيامة غدا ماوجد مزيدا .

---

(٤٤) التوبة : ١٠٢

(٤٥) الحلية ١ / ١٩٨

الباب الخامس

النساء

الصالحات والخوف من الله

النساء الصالحات والخوف من الله

○ عن عروة عن أبيه قال : كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها ، فغدوت يوما فإذا هى قائمة تقرأ « **فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ** »[1] وتدعو وتبكى وترددها . فقمت حتى مللت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتى ثم رجعت فإذا هى قائمة كما هى ، تصلى وتبكى[2] .

○ **قال سويد بن عمرو الكلبى :**

كانت امرأة عابدة فى غنى ، فكانت لا تنام من الليل إلا يسيرا ، فعوتبت فى ذلك فقالت : كفى بالموت وطول الرقدة فى القبور للمؤمنين رقادا[3] .

○ كانت آمنة بنت أبى الورع من العابدات الخائفات ، وكانت إذا ذكرت النار قالت : أدخلوا النار وأكلوا النار وشربوا من النار

---

(١) الطور : ٢٧

(٢) صفة الصفوة ٢ / ٢٢٩

(٣) صفة الصفوة ٢ / ٢٨٤

وعاشوا ، ثم تبكى ، وكأنها حبة على مقلى ، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت[٤] .

○ قال الحكم بن سنان الباهلى حدثتنى امرأة كانت تخدم معاذة العدوية قالت : كانت تحيى الليل صلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهى تقول : يا نفس ، النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك فى القبر على حسرة أو سرور .

ومن كلامها : عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظُلَم القبور[٥] .

○ وكانت عجردة العمية تقوم من أول الليل إلى السحر فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون :

إليك قطع العابدون دجى الليالى بتبكير الدجى إلى ظلم الأسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك إلهى لا بغيرك أسألك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين إليك ، وأن ترفعنى إليك فى درجة المقربين ، وأن تلحقنى بعبادك الصالحين ، فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء وأعظم العظماء ، يا كريم . ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكى وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر[٦] .

---

(٤) التخويف (٢٣)

(٥) صفة الصفوة ٤ / ٢٢

(٦) المصدر السابق ٤ / ٣١

○ **قالت عفيرة العابدة :**

ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه ، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم ، من لا ينام عنه حافظاه ليلا ونهارا(٧) .

○ **قال الحسين بن عبد الرحمن :**

حدثني بعض أصحابنا قال : قالت امرأة حبيب أبي محمد ، وانتبهت ليلة وهو نائم ، فأنبهته في السحرة وقالت : قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ، ونحن قد بقينا(٨) .

○ **قال خالد بن الوراق :**

كان لي جارية شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يوما فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير الأعمال . فبكت ثم قالت : إني لأؤمل من الله تعالى آمالا لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الامانة ، وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثا لكل مذنب ، ولكن كيف لي بحسرة السباق ؟

قال : قلت وما حسرة السباق ؟

قالت : غداة الحشر إذا بعثر ما في القبور ، وركب الأبرار نجائب الأعمال ، فاستبقوا إلى الصراط ، وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهدا أبدا ، ولو حبا المجد حبوا . أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون ، وقد رفعت أعلام المحسنين ، وجاز الصراط

---

(٧) صفة الصفوة ٤ / ٣٣

(٨) المصدر السابق

المشتاقون ، ووصل إلى الله المحبون ، وخلفت مع المذنبين المسيئين ؟

ثم بكت وقالت : انظر لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال فإنه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة . فويل لمن قصر عن خدمة سيده ومعه الآمال ، فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البطالون ؟ [٩]

عِظَةُ

قال الغزالى[١٠] :

هذه مخاوف الأولياء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم ، قادتنا شهوتنا ، وغلبت علينا شقوتنا ، فلا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا ، فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا . ومن العجائب أنا إذا أردنا المال فى الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبرارى وخاطرنا ، وإن أردنا رتبة العلم تفقهنا وتعبنا فى حفظه وتكراره وسهرنا .

ثم إذا طمحت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بأن نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا ، والذى إليه رجاؤنا ينادينا ويقول « **وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** »[١١] ويقول« **يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَاغَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ** »[١٢] . انتهى

---

(٩) صفة الصفوة ٤ / ٤٧

(١٠) الإحياء ٤ / ١٨٤

(١١) سورة النجم : ٣٩

(١٢) سورة الانفطر : ٦

البَابُ السَّادِسُ

فِى عَلامَاتِ الخَوفِ مِنَ اللهِ

أسبابُ الخَوفِ

ثمَرَاتُ الخَوفِ

الخَوفُ وَالشِّعرُ

علامات الخوف من الله

اعلم أخى المسلم .... وأنت أختى المسلمة ....

أن العبد يستطيع أن يعرف نفسه هل هو من الخائفين من الجليل ، أم هو من الغافلين اللاهين ، وهذا بيان ببعض هذه العلامات

أولها : ــ يتبين فى لسانه ، فيمتنع من الكذب والغيبة وكلام الفضول ويجعل لسانه مشغولا بذكر الله ، وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم .

والثانى : ــ أن يخاف فى أمر قلبه ، فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الإخوان ، ويدخل فيه النصيحة والشفقة للمسلمين .

والثالث : ــ أن يخاف فى أمر بطنه إلا طيبا حلالا ، ويأكل من الطعام مقدار حاجته .

والرابع : ــ أن يخاف فى أمر بصره ، فلا ينظر إلى الحرام ، ولا إلى الدنيا بعين الرغبة وإنما يكون نظره على وجه العبرة .

والخامس : ــ أن يخاف فى أمر قدميه فلا يمشي فى معصية .

والسادس : ــ أن يخاف فى أمر يده ، فلا يمدن يده إلى الحرام ، وإنما يمد يده إلى ما فيه طاعة الله عز وجل .

والسابع :أن يكون خائفا فى أمر طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله ، ويخاف الرياء والنفاق ، فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله فيهم « وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ »(١)

أسباب الخوف

اعلم يا عبد الله أن للخوف من الأسباب الكثير وهذا قليل منها :

١ ــ خوف الموت قبل التوبة

٢ ــ خوف نقض التوبة ونكث العهد .

٣ ــ خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى .

٤ ــ خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة .

٥ ــ خوف الميل عن الاستقامة .

٦ ــ خوف استيلاء العادة فى اتباع الشهوات .

٧ ــ خوف أن يكله الله إلى الحسنات التى اتكل عليها وتعزز بها .

٨ ــ خوف البطر بكثرة نعم الله عليه .

٩ ــ خوف الاشتغال عن الله بغير الله .

١٠ ــ خوف الاستدارج بكثرة النعم .

١١ ــ خوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء .

---

(١) سورة الزخرف : ٣٥ . انظر تنبيه الغافلين ٢ / ٤٢١

١٢ ــ خوف تعجيل العقوبة فى الدنيا .

١٣ ــ خوف الافتضاح عند الموت .

١٤ ــ خوف الاغترار بزخارف الدنيا .

١٥ ــ خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه .

١٦ ــ خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء .

١٧ ــ الخوف من سكرات الموت وشدته .

١٨ ــ الخوف من سؤال منكر ونكير .

١٩ ــ الخوف من عذاب القبر .

٢٠ ــ الخوف من هول المطلع .

٢١ ــ الخوف من هيبة الموقف بين يدى الله .

٢٢ ــ الخوف والحياء من كشف الستر .

٢٣ ــ الخوف من السؤال عن النقير والقطمير .

٢٤ ــ الخوف من الصراط وحدته .

٢٥ ــ الخوف من النار وأغلالها وأهوالها .

٢٦ ــ لخوف من الحرمان من الجنة دار النعيم والملك المقيم .

٢٧ ــ الخوف من حرمان النظر إلى وجهه العظيم .

ويقول الفقيه السمرقندى ــ رحمه الله ــ :

من عمل الحسنة يحتاج إلى خوف أربعة أشياء ، فما ظنك بمن يعمل السيئة .

أولها : خوف عدم القبول ، لأن الله تعالى يقول : « **إنَّما يَتَقبلُ اللهمن المتقين** »[٢]

(٢) سورة المائدة : ٢٧

والثانى : خوف الرياء ، لأن الله تعالى يقول : « **وَمَاأُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدينَ** »[٣] .

والثالث : خوف التسليم والحفظ ، لأن الله تعالى يقول :

« **مَنْ جَاءَ بِالْحسنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** »[٤] .

فاشترط المجىء بها إلى دار الآخرة .

والرابع : خوف الخذلان فى الطاعة ، لأنه لا يدرى أنه هل يوفق لها أم لا ؟لقول الله تعالى : « **ومائوْفِيقِي إلاَّ بالله عَلَيْه تَوَكّلْتُ وإلَيْهِ أُنِيبُ** »[٥].

ثمرات الخوف

قال الغزالى :

« إنه — أى الخوف — يقمع الشهوات ، ويكدر اللذات ، فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة ، كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف ، وتتأدب الجوارح ، ويذل القلب ويستكين ،ويفارقه الكبر والحقد والحسد ، ويصير مستوعب الهم لخوفه ، والنظر فى عاقبته ، فلا يتفرغ لغيره ، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة ،والمجاهدة ، والضنة بالأنفاس ، واللحظات .[٦]

(٣) سورة البينة : ٥

(٤) سورة الأنعام : ١٦١

(٥) سورة هود : ٨٨

(٦) الإحياء ٤ / ١٦

الخوف والشعر

قال عبد الله بن المبارك ، فى وصف أهل الخوف :

إذا ما الليل أظلم كابدوه
فيسفر عنهم وهمو ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا
وأهل الأمن فى نوم هجوع

وقال أيضا :

وما فرشهم إلا أيامن أزرهم
وما وسدهم إلا ملاء وأذرع
وما ليلهم فيهن إلا تخوف
وما نومهم إلا عشاش مروع
وألوانهم صفر كأن وجوههم
عليها جساد هى بالورس مشبع

نواحل قد أزرى بها الجهد والسرى

إلى الله فى الظلماء والناس هجع

ويبكون أحيانا كأن عجيجهم

إذا نوم الناس الحنين المرجع

ومجلس ذكر فيهم قد شهدته

وأعينهم من رهبة الله تدمع

وقال عباد بن زياد التيمى : يصف

فتيـة يعـرف التـخشع فيهم

كلهـم أحكـم القـرآن غلا ما

قد برى جلده التجهد حتى

عاد جلـدا مصفـرا وعظامـا

تتجافى عن الفراش من الخو

ف إذا الجاهلون باتوا نيامـا

بأنين وعبرة ونحيب

ويظلـون بالنهار صيامـا

يقـرؤون القـرآن لا ريب فيـه

ويبيتـون سجـدا وقيامـا

○ للحسن بن هاني، وتنسب للشافعى رحمه الله ، والله أعلم

خف الله وارجوه لكل عظيمة.

ولا تطع النفس اللجوج فتندما

وكن بين هاتين من الخوف والرجا

وأبشر بعفو الله إن كنت مسلما(٧)

○ وقال عبد الله محمد بن يوسف :

أسير الخطايا عند بابك واقف

على وجل مما به أنت عارف

يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيها

ويرجوك فيها فهو راج وخائف

فمن ذا الذى يرجو سواك ويتقى

ومالك من فصل القضاء مخالف

فيا سيدى لا تخزنى فى صحيفتى

إذا نشرت يوم الحساب الصحائف

وكن مؤنسى فى ظلمة القبر

يصد ذوو ودى ويجفو المؤالف

لئن ضاق عنى عفوك الواسع الذى

أرجى لإسرافى فإنى لتالف(٨)

(٧) الأبيات فى معجم الأدباء ١٧ / ٣٠٣ منسوبة إلى الشافعى ، وهى فى ديوان الحسن ٦٨

(٨) الأبيات فى نفح الطيب ٣ / ١١٢

○ وقال أبو العتاهية :

إذا ما اتقى الله امرؤ لان جانبه
وقارب الإحسان من لا يقاربه

يقول الفتى أرجو وأرجو وما له
نزوع عن الذنب الذى هو راكبه

ألا ليس يرجو الله من لا يخافه
وليس يخاف الله من لا يراقبه

وقال الفرزدق :

أخاف وراء القبر — إن لم يعافنى
أشد من القبر التهابا وأضيقا

إذا جاءنى يوم القيامة قائد
عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى
إلى النار مغلول القلادة أزرقا(٩)

---

(٩) الأبيات فى الديوان ٥٧٨ ، والكامل ١ / ٧١

الخاتمة

وبعد ...

هذه هى صفة المؤمنين الذين تلين جلودهم وقلوبهم إذا استمعت إلى ذكر الله ، والذين يبكون إذا تذكروا عيوبهم ، وذنوبهم والذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويقومون يدعون ربهم خوفا وطمعا ، وهذه صفة من أعظم صفات المؤمنين يقومون الليل ، ويهجرون النوم ، لا ليدبروا شأنا من شئون الدنيا وهمومها ولا ليبكوا على ما فاتهم من كثيرها وقليلها ، وإنما ليعبدوا الله ويناجوه ، ويستغفروه ، عساه أن يرحمهم ، ويعفو عنهم .

فهيا يا عبد الله : سر إلى الله سيرا جميلا ، واستغفره استغفارا كثيرا ، واندم على ما ضاع من العمر ندما طويلا ، حتى تصل إلى روضة الخائفين فى جنات رب العالمين .

« وما توفيقى إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيبُ »

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

المَرَاجِعُ

القرآن الكريم

١ ــ إحياء علوم الدين ــ الغزالى ــ المكتب الثقافى ــ مصر.

٢ ــ بهجة المجالس وأنس المجالس ــ ابن عبد البر.

٣ ــ التخويف من النار ــ ابن رجب ــ الإيمان ــ مصر

٤ ــ تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ التوفيقية ــ مصر.

٥ ــ تفسير القرطبى ــ دار الشعب ــ مصر.

٦ ــ رياض الصالحين ــ النووى ــ القدسى ــ مصر.

٧ ــ الزهد والرقائق ــ ابن المبارك ــ عمر بن الخطاب ــ مصر.

٨ ــ صفة الصفوة ــ ابن الحوزى ــ دار المعرفة ــ بيروت

٩ ــ صفوة التفاسير ــ الصابونى ــ مكة المكرمة.

١٠ ــ مختصر منهاج القاصدين ــ ابن قدامة ــ دار بدر ــ مصر.

١١ ــ مدارج السالكين ــ ابن القيم ــ دار الحديث ــ مصر.

١٢ ــ المصنف ــ ابن أبى شيبة ــ دار الفرقان ــ مصر.

١٣ ــ المعجم المفهرس ــ عبد الباقى ــ دار الحديث ــ مصر.

١٤ ــ المؤمن بين الخوف والرجاء ــ على العمارى ــ المجلس الأعلى بمصر.

١٥ ــ تنبيه الغافلين ــ السمرقندى ــ دار الشروق ــ جدة.

١٦ ــ حلية الأولياء ــ أبو نعيم.

فهـــرس

الباب الثالث

أحوال الصحابة والخوف من الله

الباب الرابع

أحوال التابعين والخوف من الله

الباب الخامس

النساء الصالحات والخوف من الله

الباب السادس

فى علامات الخوف من الله

رقم الإيداع ٢٤٢٨ / ٨٧

الترقيم الدولى ٥ ــ ٠١ ــ ١٩٨٥ ــ ٩٧٧

مطابع المختار الإسلامى